

بنسبة منقول ذكرى المعري

كتاب الانصاف والتحرى

في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعري

لدى المديم الحجابى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

للاستاذ برهان الدين الداغمتانى

ذكر صاحب «فوات الوفيات» في ترجمة ابن العديم : أنه ألف كتاباً في الدفاع عن أبي العلاء المعري سماه «كتاب الانصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعري»

وذكر هذا الكتاب أيضا صلاح الدين بن أيك الصفدى

المصطلحات الجديدة ومناقشتها

٤ -- السى لدى الحكومات لإيجاد مكتب عربى للمشاررات القانونية مهمته تقريب التشريع ما أمكن والعمل على توحيدته إن أمكن

٥ -- العمل على توحيد مناهج الدراسة القانونية في البلاد العربية وإيجاد رابطة متينة بين كليات الحقوق العربية

٦ -- توصية الحكومات بالاعتناء بلغة التشريع والعمل على استبعاد الكلمات البالية أو الدخيلة ، ولما فيما عملته سورية في إقرار لفظ «التنفيذ» بدلاً عن «الإجراء» ، وفيما قامت به مصر من إبدال كلمة «المدل» بكلمة الحقانية^(١) أسوة بحنة وأمل كبير في الوصول إلى أهدافنا القومية وآمالنا المنشودة كاملة غير منقوصة والله للوفى .

دمشق

عمرانه الطيب

(١) سنة ١٩٣٩

في كتاب «نكت الهميان في نكت العميان» أثناء ترجمة أبي العلاء المعري ، ونقل عنه جملة سالحة ، تلخص رأى ابن العديم في المعري ، وكذلك فعل السيوطى في «بغية الوعاة» . وذكر اسم الكتاب ، ونقل عنه خلاصة رأى ابن العديم في المعري ، وعده في سف المدافعين عنه .

ابن العديم مؤلف هذا الكتاب هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضى أبي الحسن أحمد بن العديم ، مؤرخ حلب ، ومحدثها ، وفتيها ، وأديها . ألف تاريخ حلب - بغية الطاب - في نحو أربعين مجلداً^(١) . وهو الذى يقول فيه ياقوت الحموى :

«... إن الله عز وجل عني بخلقته ، فأحسن خلقه وخلقته ، وعقله وذهنه وذكاه ، وجعل همته في المعلوم ومعالى الأمور ، فقرأ الأدب وأتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فحورده ، وأنشأ النثر فزينه ، وقرأ حديث الرسول فمرف علمه ورجاله ، وتأويله وفروعه وأصوله ، وهو مع ذلك قلق البنان بما تحوى اليدان ، وهو كاسمه كمال في كل فضيلة ، لم يمتن بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تماطى أمراً إلا جاء فيه مبرزاً ، مشهور ذلك عنه ، لا يخالف فيه صديق ، ولا يستطيع دفاعه عذر»^(٢) . ولد في حلب سنة ٥٨٨ ونشأ بها ، ثم رحل إلى بغداد ومصر أكثر من مرة واحدة ، ولما جاء انتشار إلى حلب سنة ٦٥٨ جفل إلى مصر مع من جفل ، ثم رجع إلى حلب بعد خروج انتشار منها ، فوجدها على حال سيئة من الحراب والدمار ، فرجع

(١) ذكر ذلك ابن الأثير في حوادث سنة ٦٦٠ وكذلك الشيخ شهاب الدين محمود في تاريخه

(٢) انظر ترجمة ابن العديم مفصلة في معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥٠٢ - ٥٠٤ .

وفي أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهاب للشيخ محمد راغب الطباخ ج ٤ ص ٤٦٤ - ٤٩٩ .

محيي البحث للتنقيب عن نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس .
حتى إذا أمكن الحصول عليه ونشره ، كان في ذلك أبلغ تكريم
لذكرى المرى بمناسبة عيد مولده الألفي

والى الفارى الآن مقدمة كتاب الإنصاف نقلاً عن النسخة
التي نشرها الأستاذ الطباخ :

« ... وبعد فإني وقفت على جملة مصنفات عالم معرفة النعمان
أبي الملا أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة
بالفصاحة والبيان ، مودعة ففوقاً من الفوائد الحسان ، محتوية
على أنواع الآداب ، مشتتة من علوم العرب على الخالص واللباب ،
لا يجد الطامح فيها سقطاً ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة ، ولما
كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل
الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا
سعيه ، فتقبهوا ككتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من
الريغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا
فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل ،
والمردول عن سواء السبيل ، فهم من وضع على لسانه أقوال
المليحة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصد له ،
فجعلوا محاسنه عيوباً ، وحسناته ذنوباً ، وعقله حقاً ، وزهده
فسقاً ، ورشقه بأبم السهام ، وأخرجوه عن الدين والإسلام ،
وحرفوا كلّه عن مواضعه ، وأوقعوه في غير مواقفه ، ولو نظر
الطاعن كلامه بعين الرضا ، وأغمد سيف الحسد من عليه
انتضا ، لأوسع له صدرأ وشرح ، واستحسن ما ذم ومدح ،
لكن جرى الزمن على عاداته في مطالبته أهل الفضل بتراته ،
وقصدهم بإساءاته ، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ،
فقصدوه بالظمن والإساءة . واللبيب مقصود ، والأديب عن
بلوغ الفرض مصدود ، وكل ذى نعمة محسود ، ومن
سلك فى الفصاحة مسلكه ، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه ،
وقصد فى كتبه الثريب وأودعها كل معنى غريب ، كان

إلى القاهرة ، وأقام بها إلى أن توفى بها سنة ٦٦٠ من الهجرة
ودفن بسفح المقطم .

يعد كتاب ابن العديم فى إنصاف شيخ المره من الكتب
النادرة الوجود ، بل ربما كان من تلك التي ذهبت بها الأيام ،
فلا عين لها ولا أثر ، غير ما حفظته كتب التاريخ والتراجم من
أسماء ومقتطفات

لم يعثر إلى الآن - فيما أعلم - على نسخة كاملة من هذا
الكتاب القيم النفيس ، وكل الذى عثر عليه منه - من نحو
عشرين سنة - نسخة ناقصة من آخرها ، ومن قبل آخر الوجود
منها ، ولا يعلم مقدار النقص فى كلا الموضوعين . فقد ذكر
الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي فى تاريخه « أعلام
النبلاء » بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ٧٧) : إنه عثر على
كتاب « الإنصاف والتجرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى
الملا المرى » . عثر عليه مخطوطاً فى خزائنة كتب سعادة
صرعى باشا الملاح ، وأنه نسخ من هذا المخطوط نسختين ، أهديت
إحداها للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، واحتفظ بالأخرى
لنفسه ، وبعد أن نص الأستاذ الطباخ على موضع النقص فى هذه
النسخة التى عثر عليها قال : إنه يدمج الوجود من هذا الكتاب
ضمن كتاب أعلام النبلاء . لعل ذلك يدعو بعض ذرى الهمم
للبحث والتنقيب عن نسخة تامة منه

وقد نشر الأستاذ الطباخ الوجود من كتاب إنصاف
المرى لابن العديم فى الجزء الرابع من أعلام النبلاء بتاريخ
حلب الشهباء (ص ٧٨ - ١٥٤) من نحو عشرين سنة

وإنى أنشر اليوم - بمناسبة حفلات ذكرى العيد الألفي
لمولد المرى التى تقام الآن فى دمشق - على صفحات الرسالة
النراء مقدمة كتاب الإنصاف على أن أخلص فصوله وأبوابه
الموجودة فى فرصة أخرى . أنشر هذه المقدمة راجياً - كما رجا
الأستاذ الطباخ من قبل - أن يكون فى هذا النشر الحافز لهمم